في زعم القايلين انفصل وقول الكشاف وهم الملايكة جا على مذهبه تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا اي ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباؤنا
يعبدونها فاتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة على صدقكم ولما حكي الله تعالى
عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
جوابهم عنها بقوله تعالى قالت لهم رسلهم مجيبين لهم ان اي ما نحن الا
بشر مثلكم كما قلتم فسلموا ان الامر كذلك لكنهم بينوا ان التماثل في البشرية
لا يمنع من اختصاص بعض بمنصب النبوة بقولهم ولكن الله يمن اي يتفضل
على من يشا من عباده بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشا من عباده لهذا المنصب
الشريف العظيم كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته وما كان اي صح
واستقام لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله الا بامره لانا عبيد مربوبون فليس الينا الاتيان
بالايات ولا نستبد به استطاعتنا حتى ناتيكم بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق
بمشية الله تعالى فله ان يخص كل نبي بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل بامر
حتم اي يثقوا به فلا نخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم فان توكلنا على
الله واعتمادنا على فضل الله فان الروح متى كانت مشرقة بالمعارف الالهية
مشرفة باضوا علم الغيب فلما تبالي بالاحوال الجسمانية وقلما تعتم لها وترتا
في حالتي السرا والضرا فلهذا توكلوا على الله وعولوا على فضله وقطعوا اطماعهم
عمن سواه وعمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا
اوليا الا ترى توكلهم وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد
هدانا سبلنا اي وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد فاذا من فاز بشرف
العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة يقبح عليه ان يرجع في امر من
الامور الى غير الحق وفي هذه الاية دلالة على انه تعالى يعصم اولياه والمخلصين
في عبوديته على كيد اعدايهم ومكرهم وقرا ابو عمرو بسكون البا والباقون بالرفع
وكذلك لرسلهم سكن ابو عمرو السين ورفعها الباقون ثم قالوا ولنصبرن
فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وان يصير غالبا قاهرا
والباطل لا بد وان يصير مغلوبا مقهورا ثم قالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا فان
قيل اي فرق بين التوكلين اجيب بان الاول لاستحداث التوكل
والثاني طلب دوامه اي فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم
المسبب عن ايمانهم ولما حكى الله تعالى عن الانبيا عليهم السلام انهم اكتفوا في
دفع شرور اعدايهم بالتوكل عليه والاعتماد عليه وعلى حفظه وحياطته
حكى عن الكفار انهم بالغوا في السفاهة بقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون
مستهينين لمن قصروا التجاهم عليه وقال الذين كفروا لرسلهم اي التي لنا لان الغلبة
علينا لنخرجنكم من ارضنا اي حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل

واماعودكم

او لتعودن في ملتنا اي ديننا فان قيل قد يفهم هذا بظاهره انهم كانوا على ملتهم قبل
ذلك اجيب بان العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية
لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عادت اراه عاد لا يكلمني ما عاد
لفلان مال وقد اجمعت الرسل الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشوا على
التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا
الجماعات على الواحد وقيل او لتعودن في ملتنا الى ما كنتم عليه قبل ادعا الرسالة
من السكوت عند ذكر معايبه وعدم التعرض له بالطعن والقدح ولما ذكر الكفار هذا
الكلام قال تعالى او لتعودن اي الرسل في ملتنا وقوله تعالى فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل
قوله تعالى لنهلكن الظالمين اي الكافرين حكاية تقتضي اضمار القول او اجرا الايحا مجرى
القول لانه ضرب منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم من بعدهم اي بعد
هلاكهم ونظيره قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقوله تعالى واورثكم ارضهم وديارهم قال الزمخشري
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره قال ولقد عاينت هذا
في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا فيها ويوذيني فيه فمات
ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابنا خالي يترددون فيها
ويدخلون ويخرجون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به
وسجدنا شكرا لله تعالى ذلك اي النصر وايراث الارض لمن خاف مقامي اي
موقفي وهو موقف الحساب لان ذلك الموقف موقف الله الذي يقف فيه عباده
يوم القيامة ونظيره واما من خاف مقام ربه وقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامي اي خافني فالمقام مقحم مثل ما يقال
سلام على المجلس العالي والمراد السلام على فلان وخاف وعيد قال ابن عباس
ما اوعدت من العذاب وهذا يدل على ان الخوف من الله غير الخوف من وعيده
ولان العطف يقتضي التغاير وفي تفسير قوله تعالى واستفتحوا قولان احدهما
طلب الفتح اي واستنصروا الله تعالى على اعدايهم وهو كقوله تعالى ان تستفتحوا
فقد جاكم الفتح والثاني الفتح الحكم والقضا اي واستحكموا الله وسالوه
القضا بينهم وهو ماخوذ من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق فعلى القول الاول المستفتح هم الرسل لانهم
استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما ايسوا من ايمانهم قال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وقال
لوط انصرني على القوم المفسدين وعلى القول الثاني قال الرازي فالاولى ان
يكون المستفتح هم الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هولا الرسل صادقين
فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السما وكقول اخرين ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)